مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد:02.العدد:01. السنة:2021.ص199–214
ISSN 2661-765x

أدب الطفل العربي وسؤال الهوية في ظل تجاذبات العولمة

Arabic children's littérature and question of Identity in light of the tensions of globalisation

ط/د. سلمى أوكسل*

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر.

البريد الالكتروني: selmaselmamaster@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/07/14	تاريخ القبول: 2021/08/29	تاريخ النشر: 2021/08/31

ملخص البحث

تعد ثقافة الطفل لبنة أساسية لبناء ثقافة المجتمع لأن طفل اليوم هو رجل الغد، ذلك أن قيم الطفل إنما تبنى في مرحلة الطفولة وما يأتي بعدها هو مجرد نمو للبذرة التي زرعت،لذلك فإن الاشتغال على صناعة ثقافته من الأولويات خاصة وأننا في عصر العولمة التي اخترقت عالم الصغار عبر تلك الموجة الالكترونية التي يصطدم بها الطفل أينما حل وارتحل، فملأت عليه سمعه وبصره ليتلقاها دون ممانعة عقلية أو نفسية وللحصول على أجيال سوية فكريا وجب تمحيص الأدب بمضامينه الثقافية التي تستهدف الطفل العربي، تأتي هذه الورقة لتسلط الضوء على واقع أدب الطفل العربي في ظل المد العولمي من خلال البحث في مفهوم أدب الطفل ودوره في الحفاظ على ملامح هوية الطفل بدءا بلغته باعتبارها من أهم مقومات الهوية العربية، مرورا بأدبه الذي شهد هو الآخر تحديات،وصولا إلى جملة من الاستشرافات في سبيل الحفاظ على هوية الناشئة بالتمسك بالأصالة مع الانفتاح المشروط على ما هو قادم إليهم للنهوض بأدبهم شكلا ومضمونا.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، الهوية، العولمة، اللغة العربية، الإدراك.

Abstract:

the culture of the Child is essential building the culture of the society,because the child of today is the man of tomrrow,the values of the child are built in the chidhood stage and what comes after is just the growth of the seed that has been planted,in order to have generations together intellectually in light of globalization that has penetrated the world of young people,the literature directed at them must be scrutinized with its cultural implications,this reasearch paper is repeated to

* المؤلف المرسل: ط/د. سلمى أوكسل selmaselmamaster@gmail.com

shed light of the global tide and role in preserving the features of the child's identity,starting with his language as one of the most important components of the arab identity,passing through his literature,down to set of foresights in order to preserve the identity of the young by adhering to originality with conditional openness to what is coming to them to advance their literature in form and content.
Keywords: children's literature,identity,globalisation,arabic,perception.

مقدمة:

تعد مرحلة الطفولة من أهم وأخطر مراحل الحياة عند الإنسان؛إذ تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات ففيها:"جذور لمنابت التفتح الإنساني وفيها تتفتق مواهب الإنسان،و تبرز مؤهلاته،تنمو مداركه،وتظهر مشاعره،وتتبين إحساساته،وتقوى استعداداته،وتتجاوب قابليته مع الحياة سلبا أو إيجابا،وتتحدد ميوله واتجاهاته وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين لتصبح فيما بعد متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى"[1]

فالطفولة إذن ثروة بشرية حقيقية:"و هي كمرحلة عمرية،قد تبدو عابرة لكنها ستشكل النواة الأساسية لهوية رجل الغد،إن البذور التي يتم زرعها في هذه المرحلة هي التي سوف تثمر في المستقبل مكونة النسق القيمي والثقافي للمجتمع برمته،وقد أظهرت خلاصات البحوث التربوية والنفسية أن مرحلة الطفولة بمختلف فتراتها المبكرة و المتوسطة والمتأخرة تعتبر بمثابة المرحلة الحاسمة في بناء معالم وسمات شخصية الفرد مستقبلا،في أبعادها العقلية والنفسية و الثقافية ويترتب عن ذلك أن سمات شخصية الأفراد تصبح هي محصلة للتكوين الذي تم ترسيخه خلال الطفولة."[2]

إن الأمن السيكولوجي والثقافي والاجتماعي للطفل يبدأ:"بتحصينه ضد كل ما يدفع به ضد الاستلاب والتغريب والانحراف،ويبدأ ذلك منذ الطفولة الأولى حيث أصبح الطفل يتفاعل مع ثقافات جديدة تحملها وسائط الكترونية تكون لها جاذبية خاصة لديه،وبذلك يصبح الطفل متلقي بامتياز للرسالة الإعلامية الثقافية المباشرة أو غير المباشرة له ويتفاعل معها بعفوية تامة،وغالبا ما يقع

بسرعة تحت تأثيرها المباشر مستبطنا بطريقة لاشعورية ما تحمله من اتجاهات وقيم ويدل ذلك على أن الثقافة الالكترونية أصبحت هي أكبر منافس للوظيفة التربوية والثقافية التي كانت تتولاها تقليديا مؤسساتنا الأسرية و المدرسية."[3]

ولما كانت للطفولة هذه الأهمية فقد أولاها الإسلام العناية الكاملة،وعناية الإسلام تفوق كل عناية بدءا بالمرحلة المبكرة مرحلة الاستعداد لتكوين الأسرة قبل ولادة الطفل إلى أن يصبح رجلا،ولم يكن هذا الاهتمام بالتوقف عند تشريع القوانين والنصوص فقط إنما تبعته تطبيقات وممارسات لكل ما قيل،بذلك يعدّ الدين واضع الحجر الأساس في الاهتمام بالطفل وما جاء بعده من نظريات إنما هي امتداد واقتباس من الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية.

هذا الطفل هو ثروة الحاضر وعدة المستقبل لأي أمة تخطط لبناء الإنسان بناء متوازنا في إطار القيم الدينية والوطنية،لذلك كانت الحاجة إلى الأدب الموجه لهذه الفئة في مقدمة كل الفنون التي تقدم لهذه البراعم الغضة حتى تنمو نموا متماسكا في ظل عولمة جارفة تملأ على الطفل العربي حسه وسمعه وبصره وتشكل خطرا على هويته وانتمائه إذا لم يتم التصدي لما هو غريب عن هويتنا بالغربلة والتحقيق والتدقيق.

فكيف سنضمن بناء متوازنا في إطار قيمنا الدينية ووفق خصوصياتنا العربية لأطفالنا؟ وما هي السبل الممكنة للحفاظ على هويتهم من التيارات الثقافية والفكرية الواردة من هنا وهناك؟ ألم تصبح مسألة تحصين أسوار الطفولة العربية من مزالق العولمة ضرورة حتمية؟من هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على واقع أدب الطفل العربي في ظل المد العولمي من خلال البحث في مفهومه ودوره في الحفاظ على ملامح هوية الطفل،بدءا بلغته باعتبارها من أهم مقومات الهوية العربية، مرورا بأدبه الذي شهد هو الآخر تحديات،وصولا إلى جملة من الاستشرافات في سبيل الحفاظ على هوية الناشئة وكيانها الاجتماعي والثقافي بالتمسك بالأصالة مع الانفتاح المشروط على ما هو قادم إليهم للنهوض بأدبهم شكلا ومضمونا.

1. أدب الطفل بين الماهية والخصوصية:

يجمع الباحثون على أن أدب الطفل هو فرع جديد من فروع الأدب الرفيعة:"يمتلك خصائص تميزه عن أدب الكبار رغم أن كلا منهما يمثل آثارا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون...وإذا أريد بأدب الأطفال كل ما يقال إليهم بقصد توجيههم فإنه قديم قدم التاريخ البشري حيث وجدت الطفولة،أما إذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربوية ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال،فإنه في هذه الحالة ما يزال من أحدث الفنون الأدبية،ووفق هذه النظرة فإن أدب الأطفال هو مجموعة الآثار الفنية التي تصور أفكارا وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال القصة والشعر والمسرحية والمقالة."[4]

وغير بعيد عن هذا التعريف يذهب الناقد أحمد زلط إلى القول بأن أدب الأطفال:"نوع أدبي متجدد في أدب أي لغة،وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار(شعره ونثره وإرثه الشفاهي والكتابي) فهو نوع أخص من جنس يتوجه لمرحلة الطفولة،بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية للطفل تأليفا طازجا،أو إعادة بالمعالجة من إرث سائر الأنواع الأدبية المقدمة له ومن ثم يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية."[5]

ولا يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار فهو:"فن مادته اللغة وطبيعته التخيل،يتجسد في أنساق وممارسات فنية منسوخة من الأجناس الأدبية المألوفة،وبالتالي فهو يندرج ضمن مفهوم الأدب عموما من حيث المادة والطبيعة والأنساق الفنية،غير أن أدب الأطفال يتميز عن أدب الراشدين في مراعاته حاجات الطفل وقدراته وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف أطفالهم،الأمر الذي يجعل

العملية الإبداعية لا تسير وفق البعد أو النظام نفسه الذي تتبعه في أدب الكبار مما يجعل الكاتب لا يسعى إلى جذب المتلقي إلى منظوره كما هو الشأن مع الكبار،وإنما يسعى إلى تبسيط منظوره مضمونا وشكلا لكي يتلاءم مع المتلقي-الطفل-."[6] وعليه مادام الطفل له عالمه المعجمي الخاص وقدراته العقلية واللغوية واستعداداته النفسية والفكرية الخاصة وجب مراعاة هذه الخصوصية وأخذها بعين الاعتبار.

ويعرفه الناقد إسماعيل عبد الفتاح بأنه ذلك الجنس الأدبي المتجدد:"الذي نشأ ليخاطب عقلية الصغار ولإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع،فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري لها خصوصيتها وعقلانيتها وإدراكها وأساليب تثقيفها،أي في ضوء مفهوم التربية المتكاملة التي تستعين بمجالي الشعر والنثر بما يحقق المتعة والفائدة لهذا اللون الأدبي الموجه للأطفال،ولذلك فمصطلح أدب الأطفال يشير إلى ذلك الأدب الموروث وأدب الحاضر والمستقبل لأنه أدب موجه إلى مرحلة عمرية طويلة من عمر الإنسان."[7]

تعدد التعريفات تختلف وتتباين تتقارب وتتباعد لكنها تصب في جوهر واحد وهو أن الطفولة عالم خاص ومتفرد لذلك وجب مراعاتها في الأدب الموجه إليهما من كل النواحي العمرية والعقلية والفكرية والثقافية والوجدانية والخيالية والفنية،في قالب فني شيق شعري أو نثري هادف وحامل للقيم الأخلاقية وللهوية الثقافية الأصيلة على اعتبار أن كاتب أدب الطفل مربي بالدرجة الأولى.

2.واقع هوية الطفل العربي في عصر العولمة:

إن المطلع على الساحة الثقافية العالمية سينتبه إلى قضية عصرية غدت بؤرة السؤال ومدار السجال في الأوساط الفكرية،وهي قضية العولمة التي تشكل حدثا ثقافيا استهدف عالم الطفل و ملأ عليه حسه وسمعه وبصره عبر الوسائط الالكترونية التي اكتسحت عالمه في أي وجهة يوليها وفي خضم ذلك:"يتقلص بالتدريج دور الثقافة الأسرية والمدرسية بحكم تقليدية وسائلهما التربوية

وعجزهما عن منافسة التكنولوجيا الإعلامية التي غزت البيوت والمدارس...وفي هذا السياق نعيش تجاذبا بين الأسرة التي تحاول الحفاظ على أبنائها وبين العولمة التي تسعى إلى إعادة تشكيل الأطفال ولا يتعلق الأمر بالسياق العربي فقط؛بل نجد حتى المجتمعات الأكثر رسوخا في التحديث والديمقراطية أخذت تتوجس من ذوبان الهوية وخلخلة الانتماء وانفلات زمام التحكم في عمليات التنشئة التربوية والاجتماعية."[8]

لقد اخترق هذا الزحف العولمي عالم الطفولة عبر تلك الوسائط الالكترونية التي تلعب دورا مهما في تشكيل ثقافة الطفل عبر ذلك السيل العارم من الفتنة الصوتية و البصرية بألوانها وأطيافها التي تقتحم عقل ووجدان الطفل فيتلقاها دون ممانعة عقلية أو نفسية،لذلك فإن تحليل كل مفردات وعناصر الأدب المقروءة منها والمسموعة الموجهة للطفل لهو من الأمر المهم تكمن أهمية تمحيص رسائل الأشكال والمضامين المقدمة للطفل في الحفاظ على هويته:"وهذا الأمر يفتح لنا الحديث عن تاريخ سؤال الحفاظ على الهوية؛فسؤال الهوية والانتماء سؤال أزلي بأزلية الوجود البشري وهو كذلك سؤال قديم قدم التفلسف؛فهوية طفل اليوم هي حتماً هوية رجل أو امرأة الغد،وهوية الفرد الواحد هي بلا شك جزء مهم في هوية المجتمع ككل،وليس بغريب أن تشبه الهوية بخط الدفاع الأخير وتعتبر آخر الحصون التي يجب الاعتناء بها كثيراً حتى تظل صامدة وبعيدة عن السقوط،وهي بالطبع إلى جانب حصون أخرى لا تقل أهمية كالتربية والثقافة والدين وغيرها."[9]

وللحصول على أجيال سوية فكريا واجتماعيا وثقافيا وجب تمحيص المضامين الثقافية التي تستهدف الطفل من خلال غربلتها وهو ما يضمن التصدي لكل ما هو غريب و لا يمتُّ لثقافتنا وهويتنا الأصيلة بصلة من قريب أو بعيد،وإقصاء كل ما هو دخيل وسلبي على ثقافتنا و تنقيتها وإزالة الشوائب عنها؛بل وإيجاد البديل المناسب والمتوافق مع مقتضيات الثقافة الإسلامية والعربية.

3.لغة الطفل العربي ومؤثرات العولمة:

اللغة و باعتبارها الوعاء الحاوي لأي كيان ثقافي ومقوم مهم من مقومات الهوية والوسيط الذي ينقل للأجيال ثقافتهم لم تسلم من هذا السيل العارم القادم بالغث والسمين و لا غرابة إذا لاحظنا أن الطفل العربي اليوم تتقاذفه تيارات ثقافية مختلفة وتجري على لسانه لغة متعددة،لغة المدرسة الرسمية ولهجات محلية ولغات أجنبية ونصيب اللغة العربية ضئيل لا يجاوز أسوار المدرسة في ظل العولمة التي تحاصره أينما حل وارتحل حتى أصبحت ملامح شخصية الطفل العربي ولغته مرهونة بهذا الطوفان الهائل الذي تحمله إليه العولمة التي استهدفت لغته من خلال مجموعة من الآليات نذكر منها:

1.3.غلبة ثقافة الصورة على ثقافة الكلمة:

لقد سيطرت الصورة على إيقاع الحياة المعاصرة فبلغت من الانتشار والهيمنة حتى أصبحت:"الوحدة الثقافية الأساسية التي تسوق على نحو جماهيري واسع...ولاسيما وأن الصورة لا تحتاج أو لا تتطلب أية امتلاكات أو اطلاعات لغوية من طرف المتلقي للتواصل مع منطوقها وخطابها وبنيانها المعرفي،وهو الذي كان شرطا أساسيا فيما قبل بمعنى أن في عصر ثقافة الكلمة لم يكن للمرء أن ينتمي إلى إطار المتلقين إلا عبر شرط امتلاكه اللغة وفقط من خلال إدراكه ومعرفته ووعيه للنظام اللغوي الذي تسبك عبره الكلمات،لتنتج عبره الجمل والمعاني والرموز والإشارات التي تؤلف ببنيانها الخطاب الثقافي والمعرفي الموجه،بينما في حال ثقافة الصورة فإن هذا الشرف يغدو نافلا؛إذ إن الصورة تبدو كأنها خطاب ناجز مكتمل بذاته."[10]

والخطاب المرئي أشد وقعا على المتلقي من الخطاب اللفظي ويرجع يسر استهلاك الصورة لأسباب كثيرة نذكر منها:"لا تستدعي الحرف ولا تتوقف على الكتابة يفهمها الأمي والمتعلم تبهر المثقف والعامي وتحطم بالتالي التنضيد الاجتماعي بين النخبة وعموم الناس وتكرس الحق في المعلومة،تحمل في ذاتها علاماتها وإشاراتها الخاصة القابلة لفك شفراتها سواء من طرف الخبير الذي

يقرأ ما بين ثناياها والمتوقف على رسائلها المعلنة والمضمرة أو من طرف المشاهد العادي المتوقف على دلالتها السطحية والمتأثر بما تبعثه من إشارات،أن الصورة أكثر استهلاكا من غيرها من الوسائط تهاجم المشاهد أينما كان وتقتحم عينيه أينما ولى وارتحل،كما أن للصورة التكنولوجية قوة إيحائية تجعلها تغزو العالم فتركبه وتفككه كما تشاء بفضل تقنيات العالم الافتراضي."[11]

ولهذا الواقع انعكاساته المباشرة على تعلم الأطفال للغة العربية الفصحى فالأمر:"يفرض البحث في كيفية التحكم وضبط هذا التدفق الهائل للصورة المجند بالأدوات والأجهزة في مقابلة الواقع والوضع الرتيب و التقليدي في التدريس اللغوي يضفي مسحة الجمود على مؤسساتنا التربوية والتعليمية من قاعدة الهرم إلى قمته،والتلفزيون يجعل الحجم الساعي للسماع والقراءة والمطالعة والكتابة عند الطفل في مختلف الأنشطة يتقلص على حساب أولوية المشاهدة التي قد تمنع الطفل من مخالطة أقرانه ومن التفاعل أكثر معهم،مما يقلص من تطوره مهاراته اللغوية،فالتلفزيون له مضار إذا كانت طبيعة المشاهدة السلبية وتتحدد طبيعة المشاهدة السلبية في البرامج التي تبث بلغة أجنبية ليس لكون اللغة غريبة عن الطفل،بل لأنه يجهلها تماما والطفل حينها ليس في مقام تعلم إنما تلق مباشر خاصة إذا صغر سنه،فهو يفهم من الصورة لوقوع تركيزه عليها،وليس من الكلمات لأنها مبهمة مما يضعف قدرته على استيعاب آلية النطق واكتساب المعاني،فهو يغيب وعيه لا شعوريا عن البث في دلالات لا مرجعيات مستوفر في ذاكرته حولها"[12].

2.3.تعزيز الثقافة الالكترونية على حساب المطالعة والكتابة الورقية:

والمقصود من الثقافة الإلكترونية هو ما ينتج عن استعمال للوسائل الحديثة في التعليم والتلقي التي لها تأثير معين على لغة الطفل:"بحيث تنافس هذه الوسائل أو تقوم مقام وسائل تقليدية أخرى في مجال تعليم وتنمية اللغة لدى الأطفال،ومن أهم تلك الوسائل جهاز الحاسوب الآلي الذي رغم فوائده الجمة ودوره الإيجابي في تطوير ملكة اللغة والفهم،فيتيح السماع ويجري الاستيعاب لدى

المتعلم وحفظ المعلومات والكتابة والقراءة وغيرها من المزايا ولكن الانتشار الواسع والمكثف للحاسوب في مجال التعليم والترفيه،أدى إلى تغليب الثقافة الإلكترونية على حساب المطالعة والكتابة الورقية."[13]

لقد أصبحت الانترنت أكبر مظهر دال على العولمة المتصلة بميدان الاتصال والإعلام،فقد جعلت من العالم قرية صغيرة يمكن للمتصفح أن يدخل أو يخرج من أي باب من أبوابها بكبسة زر،وفيما يخص تأثيرها على لغة الطفل فهي امتداد لتأثير جهاز الكمبيوتر و توسيع لدائرته وتعميق لأثره:"بحيث أن إمكانية المطالعة تكبر تسهيلاتها؛إذ بإمكان المتصفح للمكتبات الإلكترونية الإطلاع على أي كتاب في أي لغة أو تخصص أو حول أي موضوع دون حاجته للرجوع للنسخة الورقية التي تكون فرصة الإطلاع عليها ضئيلة،والناجم عن ذلك اتساع الهوة بين الطفل الذي غدا يعتمد على الانترنت تدريجيا ويستعمله كوسيلة في التعلم والتواصل واللعب وحتى من دون رقيب أو حسيب وبين جسر معرفي آخر وهو ارتياد المكتبة التي تعوده الاعتماد على النفس في العلم والإطلاع على الإرث الثقافي والحضاري للغته في المؤلفات القديمة و الحديثة،كما ينجر عن الاستعمال المفرط للانترنت تقليل التفاعل بين الكتاب والطفل فقد أصبح حقا ينافس المثل القائل:"الكتاب خير جليس".

وبالتالي فإن نسبة استعمال الانترنيت تكون مرتفعة باللغة الأجنبية مقارنة باللغة العربية مما يوحي بأثرين أولهما:التقليل من جدوى دور الانترنيت في تنمية اللغة الأم للطفل،وثانيا:جذب اللغة الأجنبية اهتمام الطفل بما تحويه من معلومات وبرامج تعليمية فعالة وخاصة الترفيهية،مما يجعله يوثق الصلة بها شيئا فشيئا و يعزب عن استخدام الانترنيت باللغة العربية ولا نقصد من هذا الرأي التقليل من دور الانترنيت في تنمية اللغة بما يوفر من معلومات وبرامج مختصة،ولكن يخضع استخدامه إلى ضوابط وشروط تمكن الأطفال من الجمع والتكامل بين الأسلوب الحديث وبين الأسلوب التقليدي، لأنه لكل منهما أفضلياته ودوره في إكساب الطفل عنصر اللغة على الوجه المقبول."[14].

فالصورة إذن هي من أجلى مظاهر الثقافة الراهنة ومن الظواهر المعاصرة للعولمة لقد امتلكت سلطة المهيمن وهي تنافس الصيغ الكتابية وهي ثقافة إنسانية وليست مجرد طيف أثير؛بل مشحونة بأذواق جمالية وأنماط وعي مختلفة استطاعت أن تعزف على أوتار فكر الطفل ولغته بسحرها فأصبح يعيش تناقضا لغويا بين اللهجات المحلية و اللغة العربية و أخرى أجنبية.

4.واقع أدب الطفل العربي في ظل المد العولمي:

واجه أدب الطفل تحديات لا تقل لخطورة عن تحديات اللغة العربية باعتبار اللغة مادته وحاملة لقيمه ومضامينه وهي في مستوى تأدية وظيفتها المعجمية والتواصلية،فإذا ما القينا نظرة على أدب الأطفال في عالمنا العربي بأشكاله المختلفة المكتوبة أو المرئية أو المسموعة سنلاحظ مساعي طيبة في سبيل خدمته والنهوض به لكنها تبقى جهود ضئيلة أمام العوامل المتشابكة والتي تقف عائق في طريق تطور أدب الطفل في عالمنا العربي ونذكر منها:

–سيطرة الثقافة الغربية على العالم الفضائي[15]:فأفلام الكرتون الغربية الموجهة للطفل تصبح خطرا محدقا حين تخرج عن سياقها الغربي وتتحول إلى سموم قاتلة،ووجه الخطر في هذا الأمر أن المرسِل والرسالة يحافظان على جوهرهما،ويتغير المرسَل إليه وهو هنا الطفل ليكون ابن حضارة مغايرة يتلقى رسالة غريبة من مرسل غريب عنه ويحاول هضمها في إطار خصوصيته وهويته فتصبح الرسالة في هذه الحالة مثل الدواء الذي صنع لداء معين،ويتم تناوله لدفع داء آخر فتصبح النتيجة داءً جديدًا ولنا أن نتصور حجم الأذى والسلبيات التي تنتج عن أفلام الكرتون المستوردة و المدبلجة على الطفل المسلم الذي يتأثر بها فمثل هذه الأفلام تجعل الطفل المسلم يتلقى قيما وعادات وأفكارًا غريبة عن البيئة والثقافة العربية الإسلامية التي يعيش في كنفها،لكنه يتعامل معها ببراءته المعهودة المستسلمة،فتنمو لديه دوافع نفسية متناقضة بين ما يتلقاه على شاشة التلفزيون وما يعيشه داخل الأسرة والبيئة والمجتمع،فيكون ذلك بداية الانحراف والوعي غير السوي ومثال ذلك العالم الخيالي

الذي تروجه إمبراطورية والت ديزني الشهيرة لتسلية الأطفال،عرائس البوكيمون،أبطال الديجيتال،فيلم علاء الدين الذي أنتجته شركة ديزني والذي يجعل متعطشا لسفك الدماء،وغيرها من النماذج الكثيرة التي تضمر بعض قيم العولمة التي تتنافى مع القيم العربية.

ومن العوامل الأخرى المساهمة في تعثر أدب الطفل في عالمنا ما ذهب إليه الباحث سهيل عيساوي ونذكر منه:[16]

-نقطة الانطلاق جاءت متأخرة:أدب الطفل دخل إلى عالمنا العربي بعد قرون من انتشاره في الغرب -وإن كان المشرق العربي سباقا إليه مع رافع رفاعة الطهطاوي في كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين عكس المغرب العربي فقد تأخر ظهوره لأسباب معروفة في طليعتها أنها كانت ترزح تحت نير الاستعمار-وتلكأت الحكومات ودور النشر والمدارس الفكرية عن دعم هذا التوجه،وتقاعس الأدباء العرب عن طرق هذا الباب،ربما ظن البعض أن الكتابة للأطفال شارة ضعف،ربما نظرة استعلاء،وعدم اعتراف بمكانتهم في المجتمع،يمكن القول أيضا نتيجة سوء تقدير بأهمية هذا الصنف من الأدب،فقد حرم أطفال العرب طويلا من هذه النعمة التي كان يتمتع بها أترابهم في أوروبا،الفضل يعود في نقل وترجمة وكتابة مئات القصص للأديب المصري كامل الكيلاني الذي زار أوروبا في بعثة دراسة وعاد إلينا بحزمة من الأفكار والقصص وقدم خدمة جليلة لأطفال العرب وللكتاب وللمجتمع.

-التربية على القراءة أزمة عربية خانقة:الكبار لا يقبلون على الكتاب فكيف يبثون حب الكتاب إلى صغارهم" فاقد الشيء لا يعطيه "أنظر كم كتابا يقرأ كل إنسان في أوروبا،أنظر الملايين من القراء التي اشترت سلسلة هاري بوتر،هل لو كتب الكتاب أديب عربي،هل كان سوف يهتم به القارئ العربي نفسه؟في الغرب يصل عدد النسخ لقصص الأطفال أربعة آلاف نسخة طبعة أولى،أما في

العالم العربي عادة تطبع القصة ب ألف نسخة،وفي لبنان ثلاثة آلاف نسخة يباع منها خلال ثمانية سنوات ألفين نسخة فقط.!

–جودة الكتب ومضامينها:لا شك أن لجودة الكتاب ومضمونه أثر كبير على إقبال الأطفال على المطالعة،علينا أن نعترف أن هنالك العديد من القص في السوق وبين أيدي الأطفال أقل ما يقال عنها أنها ضعيفة على مستوى الإخراج تفتقر إلى التغليف المتين الجذاب،والحجم المناسب،والطباعة الأنيقة،والورق الجيد،والصور الواضحة التي تساعد على الفهم وتهذيب الشعور،وترقى بالإحساس وتنمي التذوق عند الأطفال،أما على المستوى المضموني يلاحظ أن بعض القصص تعتمد على الحظ والمصادفة والسحر والجن والعفاريت،وهذه القصص لها نتائج خطيرة لأنها تنمي في الأطفال الميل إلى الاعتقاد بأن النجاح في الحياة لا يعتمد على الجهد الشخصي والدراسة والجدية بقدر ما يعتمد على السحر مثل سلسلة هاري بوتر،وعلى جني أو ساحر يخلقان السعادة للطفل كما في القصص المستمدة من ألف بعض ليلة وليلة،كما أن القصص التراثية تعالج أخبار الملوك والأمراء وتهدف في معالجتها إلى بيان فضلهم،حتى لو كانوا يتصفون بالجبروتّ والبطش لكن هذا النوع من القصص لا يعني أنه بهذه الصفات السلبية بل فيه الكثير من الإيجابيات كتنمية خيال الطفل...

–قلة الدراسات حول أدب الطفل:الدراسات في عالم الطفل شحيحة،معظم الأعمال لا يشار إليها كأنها خارج مرمى النقد،فإن النقد الصحيح رافد هام وحيوي للأدب،يعالج النص بموضوعية ومهنية يبث الحياة المتجددة بالنص كلما نظر إليه القارئ والباحث،كما أنه يقوّم الكتابة ويوجه الكتاب ويظهر مواطن القوة والضعف في الأسلوب والمضمون،ويعرف القراء بالكتاب،ويغربل الأدب عن غير الأدب و يخلد الأدب الجيد بين حضن المادة، ويطور أسلوب الكاتب والناقد على حد سواء.

–وعي أهمية أدب الطفل:عامل الوعي كمجتمع وحكومات لأهمية أدب الطفل هام كلما زاد الوعي تزداد الطاقات والموارد التي تصرف على نشر هذا الأدب وتكريس نجاحه،صحيح أنه طرأ اهتمام في بعض الدول بأدب الطفل مثل:الكويت والإمارات وعمان والأردن،حيث تتبنى الدول مسابقات على مستوى العالم العربي تشجع هذا اللون الأدبي وتكرم الأدباء لكن هنالك حاجة ليكون هذا الاهتمام أوسع وأعمق وأشمل، وأيضا ليكون في سائر الدول العربية من خلال بناء رؤية شاملة نشر ودعم أدب الطفل.

خاتمة:

إن العولمة الإعلامية واتساع انتشار ثقافة الكلمة والصورة وغزوها كل البيوت تدعونا اليوم إلى التفكير في صناعة ثقافة الطفل العربي، من خلال تقوية أواصره بهويته وانتمائه الحضاري مع السماح بالانفتاح المشروط على مقتضيات العصر وأخذ منها كل ما هو مفيد ونافع، خاصة بعد سيطرة الفكر الغربي على الإعلام، حيث أصبحت شخصياته ومغامراته مضامينا لأدب أطفالنا وهو ما يحتم علينا التوقف عنده بالغربلة والتنقية من كل الشوائب مع العودة إلى تراثنا الذي لا ينضب بغزارته وثرائه الكفيل ببناء وتحصين شخصية الطفل العربي
وقد أورد الناقد نجيب الكيلاني عددًا من الأهداف يستضاء بها في أي خطة لتحضير وإعداد أدب للطفل المسلم، في سبيل تقديم قيم وأخلاقيات منبثقة من صلب حضارتنا وعروبتنا نرى أنها تخدم استراتيجية الإعلام الإسلامي الموجه للطفل المسلم وهذه الأهداف هي[17]:

–تشكيل الوجدان المسلم تشكيلاً إسلاميّا من خلال القصص المؤثر الذي يعرض للبطولات والنماذج الفريدة في تاريخنا.

–صبغ الفكر بالمنهج الإسلامي، وتخليصه من الوثنيات والخرافات والشوائب المنافية له.

–طبع السلوك بالطابع الإسلامي في جميع المواقف الحياتية للطفل.

–ترسيخ حب العلم باعتباره فريضة إسلامية.

–تحديد مفهوم السعادة تحديدًا إسلاميّا شاملاً،يقف في وجه المفهوم الغربي للسعادة التي جعلها في

الثراء والجاه والقوة والسيطرة والأنانية والأثرة.

-تنمية ملكة الخيال عند الطفل، بشكل يجعله خيالا تربويا بناء بعيدًا عن الشطط الذي تقدمه البرامج الغربية.

-إيجاد التوازن النفسي في شخصية الطفل.

-ترسيخ العقيدة الصحيحة.

-فهم الحياة فهما إسلاميّا سليما، حتى يصبح حلم الطفل هو إقامة المجتمع الإسلامي الرشيد.

-بعث مشاعر الوحدة الإسلامية.

-توضيح مفهوم الحب بمعناه الإيجابي.

-إثراء الحصيلة اللغوية.

-تنمية الإحساس بالجمال.

-ويبقى دور الأسرة على رأس الأدوار التي يمكنها توجيه الطفل المسلم توجيها سليما، والتوفيق بين القيم الإسلامية والقيم التي يمتصها الطفل من الإعلام المصور،إلى اعتبار أن الأسرة هي المحيط الأول الذي يفتح عليه الطفل عينيه،فيتلقى منه نماذج التصرف والسلوك والتوجيهات التي تقود خطواته الأولى،غير أن دور الأسرة لا يكون ناجحا بدون وجود إستراتيجية مجتمعية شاملة لإعلام إسلامي قويم، يتكامل مع وظيفة الأسرة بشكل منسجم.

إحالات البحث:

[1]:محمد حسن بريغش:أدب الأطفال أهدافه وسماته،مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع،بيروت،ط1996،2،ص14.

[2]:عبد الله الخياري،ثقافة الطفل وتحديات العولمة،مجلة كلية علوم التربية،العدد2013،5،ص25.

[3]:المرجع نفسه:الصفحة نفسها.

[4]:هادي نعمان الهيتي:أدب الأطفال،فلسفته،فنونه،وسائطه،الهيئة المصرية العامة،القاهرة،دط،1977،ص71.

[5]:أحمد زلط:أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي،الشركة العربية للنشر والتوزيع،ط1994،2،ص30.

[6]:عبد المجيد حنون(2018)،أدب الأطفال والأدب المقارن،تاريخ الاطلاع(17-2-2021).lissanarab.blogspot.com

[7]:إسماعيل عبد الفتاح:أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية،مكتبة الدار العربية،القاهرة،ط1،2000،ص22-23.

[8]: عبد الله الخياري،ثقافة الطفل وتحديات العولمة،ص29

[12]:حميد بن سيف النوفلي(2011)،الدور المؤمل لأدب الطفل في تشكيل هوية الطفل العماني،تاريخ الاطلاع (19-1-2021) www.alwatan.com

[10]: سعيد بنكراد:سيميائيات الصورة الاشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية،أفريقيا الشرق،المغرب،دط،2006،ص31.

[11]: عبد العالي معزوز:فلسفة الصورة،أفريقيا الشرق،المغرب،2014،دط،ص151-152-153.

[12]:سامي الصلاحات:العولمة وتأثيرها على لغة الطفل،ورقة مقدمة من المؤتمر الدولي" الطفل بين اللغة و التواصل مع العصر" ص8.

[13]المرجع نفسه،ص10.

[14]:المرجع نفسه،الصفحة نفسها

[15]:إدريس الكنبوري(2002)،الطفل المسلم بين الإعلام المستورد والإعلام المنشود،تاريخ الاطلاع(20-2-2021) www.islamweb.net

[16]:سهيل عيساوي(2015)،عوامل تعثر أدب الطفل في عالمنا العربي،تاريخ الاطلاع(20-2-2021)، www.diwanalarab.com

[17]:إدريس الكنبوري،الطفل المسلم بين الإعلام المستورد والإعلام المنشود.

قائمة المراجع المعتمدة:

الكتب:

1-أحمد زلط:أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي،الشركة العربية للنشر والتوزيع،ط19942،ص30.

2-إسماعيل عبد الفتاح:أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية،مكتبة الدار العربية،القاهرة،ط20001،ص22-23.

3- حسن حنفي،صادق جلال العظم:ما العولمة؟،دار الفكر المعاصر،لبنان دط،دت،ص18.

4-سعيد بنكراد:سيميائيات الصورة الاشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية،أفريقيا الشرق،المغرب،دط،2006،ص31.

5- عبد العالي معزوز:فلسفة الصورة،أفريقيا الشرق،المغرب،2014،دط،ص151-152-153.

6-علي حرب:حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية،الدار البيضاء،المغرب،ط2004،2،ص45.

7-محمد حسن بريغش:أدب الأطفال أهدافه وسماته،مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع،بيروت،ط1996،2،ص14.

8-هادي نعمان الهيتي:أدب الأطفال،فلسفته،فنونه،وسائطه،الهيئة المصرية العامة،القاهرة،دط،1977،ص71.

المقالات:

1- عبد الله الخياري،ثقافة الطفل وتحديات العولمة،مجلة كلية علوم التربية، المغرب العدد2013،5،ص25.

المواقع الالكترونية:

1-إدريس الكنبوري(2002)،الطفل المسلم بين الإعلام المستورد والإعلام المنشود،تاريخ الاطلاع(20-2-2021) www.islamweb.net

2- حميد بن سيف النوفلي(2011)،الدور المؤمل لأدب الطفل في تشكيل هوية الطفل العماني،تاريخ الاطلاع (19-1-2021)www.alwatan.com

3-عبد المجيد حنون(2018)،أدب الأطفال والأدب المقارن،تاريخ الاطلاع(17-2-2021) lissanarab.blogspot.com.

4-سهيل عيساوي(2015)،عوامل تعثر أدب الطفل في عالمنا العربي،تاريخ الاطلاع(20-2-2021)،www.diwanalarab.com